Diwan: Jurnal Bahasa dan Sastra Arab [•P-ISSN 1693-4725• E-ISSN 2442-3823]
Vol. 16, No. 2, July-December 2024, 195-207
https://doi.org/10.15548/diwan.v16i2.1598



الدراسة التحليلية عن نشأة اللغة العربية في عصر الدولة العثمانية

Nicolas Habibi [1], **Ideal Patrah** [2], **Khairil Malik** [3]

[1] Institut Agama Islam Negeri, Kerinci, Indonesia
[2] Institut Agama Islam Negeri, Kerinci, Indonesia
[3] Institut Agama Islam Negeri Curup, Indonesia

تجريد

كانت الدولة العثمانية قد استولت على بلدان الأوروبية الشرقية وبلدان العربية في آسيا وأفريقا الشمالية في القرن الثالث عشر إلى القرن التاسع عشر الميلادى وجعلت القسطنطينية عاصمة لها بعد أن تغير باسلامبول أي مدينة الإسلام المشهور الإستانبول وظهرت قوتها من ناحية الجيوش والعثمانيون يعيشون في صراعهم العسكرى وقلهم الاهتمامى بالاتجاهات الفكرية والعلمية والأدبية. عصر الدولة العثمانية هو عصر الفساد للحضارة الإسلامية عامة واللغة العربية وأدبها خاصة إن حياة الحضارة الإسلامية في مجال العلم والأدب في بلدان العربية التي تضعف في القرن الخامس عشر الميلادى فتزداد ضعفا بعد إستلاء العثمانيين وإستعمال اللغة العربية محدودة فى الأمور الدينية والمعاملة اليومية لكن مع أن ذلك لا تزال اللغة العربية تدرس وتعلم في المدارس والجامعات.

تاريخ

استقبال:9-12-2024
مراجعة: 9-12-2024
قبول:30-12-2024
النشر: 9-1-2025

الكلمات الرئيسية

الدولة العثمابية ؛
الحضارة ؛
الاتجاهات الفكرية ؛
العلمية والأدبية ؛
اللغة العربية.

ABSTRACT

The Ottoman Empire had seized Eastern European countries and Arab countries in Asia and North Africa in the thirteenth to nineteenth centuries AD and made Constantinople its capital after it was changed to Istanbul, the famous Islamic city, and its strength appeared in terms of armies and the Ottomans lived in their military conflict and their lack of interest in intellectual, scientific and literary trends. The era of the Ottoman Empire is an era of corruption for Islamic civilization in general and the Arabic language and its literature in particular. The life of Islamic civilization in the field of science and literature in the Arab countries weakened in the fifteenth century AD and then

HISTORY

Received: 9/11/2024
Revised: 21/11/ 2024
Accepted: 30/11/2024
Published 9/11/2025

*Corresponding author. Email: habibi.nicolas@gmail.com
Availableonlineat:https://rjfahuinib.org/index.php/diwan/

KEYWORDS
The Ottoman Empire; Civilization; Intellectual trends; Scientific and literary; Arabic language

weakened again after the Ottomans took over and the use of the Arabic language was limited in religious matters and daily dealings, but despite that, the Arabic language is still taught and taught in schools and universities.

Citation in APA Style: Habibi, N., Patrah, I., & Malik, K. (2024). الدراسة التحليلية عن نشأة اللغة العربية في عصر الدولة العثمانية. Diwan: Jurnal Bahasa dan Sastra Arab, 16(2). 195-207. https://doi.org/10.15548/diwan.v16i2.1598

المقدمة

اللغة العربية هي إحدى اللغات السامية التي استعملها هؤلاء الذين يسكنون في الجزيرة المنسوبة إليها أى الجزيرة العربية التي تقع في الطرف الجنوبي الغربى من آسيا، كما قال أحمد الاسكندرى ومصطفى عناني "إن اللغة العربية هي إحدى اللغات السامية وهي اللغة أمة العربية القديمة التي كانت تسكن الجزيرة المنسوبة إليها في الطرف الجنوبي الغربي من آسيا" (الإسكندري & عناني, 1967.; الغلاييني، 1987).

والكلام عن نشأة اللغة العربية لا يخرج عن تاريخ الآداب العربي منذ قديم الزمان، لأنها قد وصلت إلى مرحلة الكمال ولأن هناك تسجيل تراث الآداب العربي بدأ منذ القرين قبل الإسلام. وتسمى اللغة السامية لأنها نسبة إلى السام ابن نوح عليه السلام، كما قال محمد على الصابون: "كان لنوح عليه السلام أربعة أولاد، هم (سام وحام ويافت وكنعان). أما كنعان فقد هلك مع الهالكين لأنه كان من الكافرين وأبي أن يركب مع أبيه في السفينة. أما أولاده الثلاثة فنحوا وجاء من نسلهم أهل الأرض، وكل الخلائق ينسبون إلى أولاد نوح الثلاثة لأن الله تعالى قال: (وجعل ذريته هو الباقين فسام هو أبو العرب وحام هو أبو الحبش ويافث هو أبو الروم). وقد جاء في ذلك بعض الأحاديث النبوية الشريفة منها ما رواه أحمد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "سام" أبو العرب وحام أبو الحبش ويافث أبو الروم (الصابون، 1980)."

للعرب لغتين: اللغة الأولى هي لغة جنوبية ومقرها اليمن وأول ما عرف من نقوشها كان مؤرخا سنة ٨٠٠ ق. م. وهذه اللغة عرفت باللغة الحميرية وخطها عرف بالخط المسند. وكان أهل اليمن يتكلمون بها ويكتبون بخطها حتى ظهر الإسلام اللغة الثانية هي لغة شمالية ومقرها نجد والحجاز والبحرين والعراق والشام وأول ما عرف من نقوش هذه اللغة الشمالية نقش أمارة في حوران في الشام (الفيصل، 1405).

ولقد سجل التاريخ أن العرب عاشوا في قبائل مختلفة ولكل منها لغة ولهجة خاصة، والعرب في العصر الجاهلى لهم إهتمام كبير باللغة العربية وآدابها أما اللغة العربية على تعددها واختلافها فإنما أصلها يرجع إلى لغتين أصليتين هما لغة الشمال ولغة الجنوب وبين لغتين فرق بعيد في اللهجة كان بينهما اتصال تجارى فامتزج بينهما دون أن تتغلب إحداهما على الأخرى. هكذا الكلام عن اللغة العربية ونشأتها وعرفنا أنها إحدى اللغات السامية ولم تزل مستعملة إلى يومنا هذا. البحرين والعراق والشام وأول ما عرف من نقوش هذه اللغة الشمالية نقش أمارة في حوران في الشام.

ولقد سجل التاريخ أن العرب عاشوا في قبائل مختلفة ولكل منها لغة ولهجة خاصة، والعرب في العصر الجاهلى لهم إهتمام كبير باللغة العربية وآدابها أما اللغة العربية على تعددها واختلافها فإنما أصلها يرجع إلى لغتين أصليتين هما لغة الشمال ولغة الجنوب وبين لغتين فرق بعيد في اللهجة كان بينهما اتصال تجارى فامتزج بينهما دون أن تتغلب إحداهما على الأخرى. هكذا الكلام عن اللغة العربية ونشأتها وعرفنا أنها إحدى اللغات السامية ولم تزل مستعملة إلى يومنا هذا.

اللغة العربية وآدابها (الشعر) عند العرب له منزلة عظيمة وأثر قوى الذي حفظ لنا حياة العرب في جاهليتهم. وإذا كانت الأمم الأخرى تخلد مآثرها (الفيصل، 1405) بالبنيان والحصون فإن العرب يعولون على الشعر في حفظ تلك المآثر، وكانت اللغة العربية محصورة في العرب حتى يكون الأدب العربى فى هذا العصر بعيدا عن تأثير ثقافة الأعاجم وأفكارهم (الإسكندري & عناني, 1967). ولما أرسل الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين المبعوث بلسان عربي مبين، تطورت اللغة العربية تبعا لتطور الحياة الاجتماعية والدينية.

في عصر الدولة العثمانية، أعلنت الدولة العثمانية التي استولت الدولة العربية أن اللغة التركية هي اللغة الحكومية فبعد السابعة من الهجرية تضيقت اللغة العربية مع أنها تستعملها لغة دينية فقط، فهذا عصر إنحطاط اللغة العربية (myquran.com). فإزدادت اللغة العربية وآدابها إزدادا ضعفا فى عصر الدولة العثمانية كانت في حالة الإنحطاط والانخفاض بالنسبة إلى العصر قبلها، وإنحطاط اللغة العربية في عصر الدولة العثمانية له عوامل وأسباب من النواحى الكثيرة. يريد الكاتب أن يبحث هذه المسألة فى الرسالة العلمية وأختار الكاتب لها الموضوع: اللغة العربية في عصر الدولة العثمانية.

المسألة الرائسية في هذا البحث هى كيف اللغة العربية في عصر الدولة العثمانية، ولهذا البحث مسائل واسعة فحددها الكاتب حول ما يأتي: أحوال العالم العربي الإسلامى فى العاشر الهجري وطبيعة العلاقة العربية التركية ومزايا وعيوب الدولة العثمانية؛ أحوال اللغة العربية وإستعمالها وأسباب انحطاط في عصر الدولة العثمانية.

المنهج

أما الطريقة التي يسلكها الكاتب في البحث هذه الكتابة العلمية هي طريقة البحث المكتبى بالرجوع إلى المصدر الأول كتاب الأدب العربي من الإنحدار إلى الإزدهار والكتاب الأخرى التي تبحث عن هذا الموضوع. تتركز عمليات البحث على أساس البحث، يجمع به ما يلزم من البيانات فى عصر المحدثين.

النتيجة

1. نشأت اللغة العربية وتطورها قبل عصر الدولة العثمانية.

وقد قسم المؤرخون تطور اللغة العربية تبتدأ من زمان الجاهلية إلى يومنا هذا إلى خمسة عصور، كما قدمه صاحب كتاب الوسيط في الأدب العربي وتاريخه فيما يلى:

عصر الجاهلي

هذا العصر هو العصر الأول من العصور العربية ويبتدئ باستقلال العدنانيين عن اليمنيين في منتصف القرن الخامس للميلاد وينتهي بظهور الإسلام سنة ٦٢٢م. وقال لويس معلوف أن المراد بالجاهلية هي الحالة الجاهلية الوثنية في بلاد العرب قبل الإسلام (السبوعي،1980) ففى هذا العصر قد إشتد الظلام وظهرت الصفات السيئة. أن العرب في الجاهلية مولعون بالشعر ويهتمون بها إهتماما كبيرا، ولغاتهم على تعددها ترجع أصلها إلى اللغتين لغة الجنوب ولغة الشمال، وقد امتزج بينهما دون أن تتغلب إحداهما على الأخرى.

عصر صدر الإسلام

والأدب بشعره ونثره مظهر من مظاهر الحياة المختلفة أثر فيه الإسلام كما أثر في غيره من نواحي الحياة، واللغة هى المعبرة عن الأدب فلا يمكن عن نتصور أدبا بدون لغة، وبذالك فإن اللغة تأثرت بالإسلام تأثرا ملموسا في طرق التعبر المختلفة سواء كان ذلك في المفردات أو التراكب (الفيصل، 1405). تلك هي الآثار اللغوية العربية بمجيئ الإسلام إلى العرب وهناك الآثار مثل انتشار اللغة العربية في الجزيرة العربية.

عصر العباس

عصر الدولة العباسية هو عصر الإسلام الذهبي الذي بلغ في الإزدهار المسلمون من المرافق ما لم يبلغوه من قبل ولا من بعده، أثمرت الفنون الإسلامية وزهقت الأدبية العربية ونقلت العلوم الأجنبية ونضح العقل العربي فوجد سبيلا إلى البحث.

https://doi.org/10.15548/diwan.v16i2.1598

وفي عصر الدولة العباسية قد ترجمت الكتب الأجنبية إلى اللغة العربية واللغة العربية الفصحى تستعمل لغة عربية في الكتابة الدوانية والحضارة العلمية فيبدأ تدريس اللغة العربية من الكتب (myquran.com).

2. بالعالم العربي تحت حكم الدولة العثمانية

أطل القرن العاشر الهجرى على العالم الإسلامي العربي وفيه ثلاث دول كبرى وهي:

الدولة الصفوية

الدولة الصفوية في بلاد فارس التي قامت على أساس ديني قومي وبعد الشاه إسماعيل الصفوى (١٥٠٠ - ١٥٢٤) (م) المؤسس الحقيقي لهذه الدولة وقد وطد العزم على أن يقيم في إيران دولة مستقلة يدين أهلها بالتشيع ويعمل على نشره حتى يصبح المذهب الغالب في العالم الإسلامي (الدفن، 1989).

أما في العراق فقد حكم الأقيونيون بلاد ديار بكر وآذرى بيجان وإيران من سنة ٨٠٦ هـ - ٩١٤هـ وهم عشيرة تركمانية كبيرة هاجرت من تركستان إلى آذر بيجان ثم تقدمت باتجاه ديار بكر واستقرت أخيرا بين آمد والموصل والمؤسس الأول لها هو بهاء الدين قره عثمان الذي التزم جانب تيمور لنك حينما غزوا الممالك الإسلامية بتلك المنطقة فكافأه تيمور بأن أعطاه ولاية ديار بكر. ثم إنقرضت دولة الأقيونيين أمام الصفويين والصفويون يدعون أهم ينتسبون للعرب ولآل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم وقد أخذوا إسمهم من الشيخ صفى الدين الإربيلي الوالى الصالح فى تلك الأسرة والشاه إسماعيل هو الابن الثالث الحيدر الحاكم الأول والمؤسس للدولة الصفوية وعاصمته تبريز (حسون، 1983).

كان إسمائيل شاه (حاكم الدولة الصفوية قد حرص حرصا شديدا على أن ينشأ التشيع على سائر البلاد - حتى أنحاء بلاد العثمانيين ثم استقر التوسيع إلى منطقة الدولة العثمانية فوقع الحرب بين الصفويين بقيادة إسمائيل شاه والعثمانيين بقيادة السلطان سليم فى سنة ١٥١٤م فانتصر العثمانيون التي تسبب سقوط عاصمة الدولة الصفوية تبريز ثم نقلت إلى قزوين ثم إلى أصبهان.

الدولة المملوكية في مصر

الدولة المملوكية تحاول تراثا كبيرا من الأيوبية في مصر وشام (دينى،١٩٩٣). ولها السيادة على بلاد الحجاز واليمن وقد أصابت الحضارة الإسلامية حظا كبيرا من الإردهار في العصور الوسطى في مصر نتيجة لرواج التجارة بين الشرق والغرب عبر الطرق التي تحتار البلاد العربية (الدفن، 1989) وفى حكم لممالك مصر وشام أصابت العمران الاقتصادي والنشأة السرعة فى الفن والحضارة بكل إنجار خاص كالهندسة المعمارية والفخارية والفنية في المعادن(دينى،١٩٩٣).

وقد تأثرت الدولة المملوكية تأثرا ملحوظا بهذا التحول التجاري الذي اتخذ لونا صليبيا صارخا حين عمل البرتغاليون على تحطيم القوى الإسلامية في الهند كما سعوا إلى النفاذ إلى البحر الأحمر أملا فى النزول إلى الحجاز وإنتهاك حرماته بالتحالف مع الحبشة وقد بذلت مصر جهودا عسكرية رئعة لوقف هذا النشاط البرتغالى فى البحار الشرقية، ولكن لم يقدر لها النجاح ووطد البرتغاليون أقدامهم في قواعدهم الحصينة وأمعنوا فى إحتكار التجارة الشرقية والضغط على القوى الإسلامية والعربية في تلك الجهات (سيديو،١٩٦٩). وفي عهد السلطان سليم قد إستقر توسيع دولته إلى شمالي أفريقا والشام حتى فتحت مصر سنة ١٥١٧ م التي قد إستولت في ذلك الوقت إبان دولة الممالك (معنى،١٩٩٧) ذلك الفتح لأن بحر الأحمر التي في مصر حينئذ منطقة تجارية مهمة.

الدولة العثمانية

إسم الدولة العثمانية تؤخذ إلى أباءهم الأولى سلطان عثمان ابن أرتغال اين سليمان ساح ابن كيا ألف رئيس قبيلة القابي في آسيا الوسطى(الملك،١٩٧٥). فدخل عثمان ابن أرتغال ابن سليمان ساح ابن كيا ألف رئيس قبيلة القاني في آسيا الصغرى وإلتحق بخدمة الأمير السلجوقي علاء الدين الثاني الذي يستمر الحرب مع البزنطيين وساعده على هذا الجهاد فأعطى السلطان الولاية على حساب البزنطنيين فاتخذ "شاكود" عاصمة له (معنى،١٩٩٧). سقطت الدولة السلاجقة من آسيا الصغرى سنة ٦٩٩ هـ بمهاجمة المغول وتوفى السلطان علاء الدين في نفس العام فأعلى عثمان إستقلال التام وإتخذ أثر ولاية السلاجقة قاعدة ولايته تسمى بالسلطانية العثمانية التي أخذت تسميتها من إسمه في سنة ٦٩٩ هـ / ١٣٠٠ م (معنى،١٩٩٧).

الدولة العثمانية التي أنسها الأتراك كإمارة صغيرة في الأناضول (آسيا الصغرى منذ القرن الثالث عشر ثم توسعوا على إنقاض الإمارات التركية غير العثمانية في الأناضول وإملاك الدولة البزنطية في الأناضول والبلقان ولاسيما بعد سقوط القسطنطينية على يد السلطان محمد الفاتح سنة ١٤٥٣ م حيث إتخذها العثمانيون عاصمة لهم وأطلقوا عليها إسم إسلامبول (دار السلام). وإستمر التوسع العثماني في البلقان وحوض نهر الدانوب وشكلوا بذلك خطرا شديدا على أوروبا حتى ظهر في عالم السياسة الأوروبية وقتزاك ما عرف باسم المسئلة الشرقية" التي كان معناها هينئذ إتقاء خطر العثمانيين الداهم على أوروبا(الدفن، 1989).

وبعد فتح القسطنطينية سنة ١٤٥٣م بقيادة السلطان محمد الفاتح اتجه إلى بلاد الشرقي الأوسط وشمالي أفريقا فمصر في السنة ١٥١٦ م (الدفن، 1989). العثمانيون بعد فتوح تلك البلاد يسموها من أعظم وأقوى الدولة الإسلامية في ذلك الوقت. لأنهم قد جمعوا بعض البلاد فى ثلاث قارت) آسيا وأوربا وأفريقا) تحت دولتهم في القرن السادس عشرة .فتبين لنا أن سائر البلاد العربية (الشام ولبنان وفلسطين

والعراق و السعودى واليمن والكويت و مصر و تونسى و المراكش) في القرن السادس عشرة قد تسلطت تحت العثمانيين التي من أوسع وأقوى الدولة في هذا القرن.

3. طبيعة العلاقة العربية التركية

طبيعة العلاقة التي قامت بين العرب والأتراك العثمانيين فقد حددها الكاتب على حقيقتين هامتين:

الحقيقة الأولى أن الأتراك العثمانيين بعد بسط سيرطهم العسكرية والسياسية على البلاد العربية إحتفظوا بالبناء الاجتماعي والاقتصادي الذي كان سائدا في تلك المنطقة قبل دخولها في حوزتهم إلا ما كان يتعارض مع السيادة العثمانية على البلاد المفتوحة. فاكتفوا بفرض سيطرتهم العسكرية والسياسة عليها وتركوا الشعوب هذه البلاد مؤسساتهم القديمة وحرية الإحتفاظ بعاد الهم وتقاليدهم.

الحقيقة الثانية أن العثمانيين منذ دخولهم البلاد العربية إرتبطوا بسكانها بوشيحة الإسلام فكان الدين هو الرابط بينهما وظل الأمر كذلك حتى مطلع القرن العشرين فكان العرب يعتبرون أن دولتهم فهى دولة الإسلام وأن السلطان المسلم هو الوارث الفعلى لرئاستهم وحامي حمى الإسلام ورافع لواء الجهاد ضد الكفر والكفار وترجع هذه النظرة إلى ما قبل الغزو العثماني للبلاد العربية حينما إندفع العثمانيون في موجات فتوحاتهم في أوربا فقد كان المسلمون في مختلف أنحاء العالم الاسلامي يعتبرون هذه الحروب جهادا في سبيل الله وتوسيعا لرفعة الإسلام (الدفن، 1989).

مما سبق يتضح لنا أن الإسلام كان أهم عامل جمع الأتراك والعرب في رابطة متينة طويلة اربعة قرون وحد العرب أنفسهم خلالها جزءا من أعظم وأقوى أمبراطورية إسلامية عرفت منذ ظهور الإسلام. وأما كون هذه الأمبراطورية عثمانية فلم يكن ذلك في نظر العرب المسلمين حتى مطلع القرن العشرين أمرا ذابال ما دامت هذه الأمبراطورية التي يعيشون في كنفها أمبراطورية إسلامية فقد كان الجميع عربا وتركيا يشعرون ألهم أعضاء في أمة إسلامية عظيمة يربط بينهم دين واحد ويدينون بالولاء الحاكم مسلم هو السلطان العثماني. يقول في هذا الصدد أحد الباحثين العرب:

> كانت الأمبراطورية العثمانية دولة إسلامية يحمل سلطانها لقب خليفة ويطبق أحكام الشرع الإسلامي على المسلمين ولا يفرق بين عربى وتركي وكردى مادام الإسلام قد وحد بينهم ولم يشعر العرب المسلمون السيون أهم إقلية محكومة لأنهم لم يكونوا كذلك وإرتاح المسلمون وأطمأنوا إلى حكم سلطان السلاطين"(الدفن، 1989)."

وقد إستبدل العثمانيون باسم عاصمة أمبراطوريتهم القسطنطينية إسم آخر هو اسلامبول دار السلام) أى حيث يزخر أو يغزر الإسلام (زين،١٩٧٢). وبالجملة أن العرب الأتراك لا يفرق بينهم لأنهم يربطون بإسم واحد هو الاسلام ويطبقون أحكام الشرع بينهم حتى ارتاحوا في حكم سلطان.

https://doi.org/10.15548/diwan.v16i2.1598

4. مزايا وعيوب حكم الدولة العثمانية

يبين الكاتب خصائص الحكم العثماني الذي عاش العرب في ظله قرابة أربعة قرون والذي إذا نظرنا إليه من الزاوية العربية نجد أنه قد إنطوى على عيوب لا مراء فيها ولكنه أيضا لم يخل تماما من المزايا. وقد استطاع العرب أن يفيدوا من مزاياه ومن بعض عيوبه. أما عن المزايا فتتحلى في النواحي الآتية:

أ- أنه جعل البحر الأحمر بحرا إسلاميا مغلقا بمعنى تحريم الملاحة في هذ البحر على السفن المسيحية.

ب- نعم العالم العربي في ظل الحكم العثماني بالهدوء والاستقرار والأمن في وقت كان في أشد الحاجة إليه بعد حالة الأعياء والإنهاك التي أصابتها نتيجة تعرضه للحملات الصليبية وغزوات التتار والمغول.

ج- حقق الحكم العثماني للعالم العربى وحدة سياسية متجانسة متكاملة وكانت وحدة عملية وعلى الطبيعة دون الحاجة إلى إعلان أو دستور ينظمها فلم يكن هناك فرق بين مصرى وشامى وعراقى وليبى وتونسى وجزائري الجميع رعايا الدولة العثمانية والجميع يسمح لهم بالسفر والإنتقال من إقليم عثماني إلى أخر دون جواز سفر أو تأشيرة دخول وخروج أو تحديد إقامة. اذ لم تكن هناك حدود سياسية فاصلة بين إقليم وأخر ولا حواجز حمركية في ظل هذا الحكم فالجميع رعايا السلطان (الدقن،1989). هذه هي محاسن الحكم العثمانى فى العالم العربي الذي استطاع أن يحيى ثمارها ويفيد منها طوال قرون أربعة حتى كان الرابع الأخير من القرن التاسع عشرة حينما ضعفت الدولة العثمانية.

أما عن العيوب تتجلى عزلة العالم العربي تحت حكمهم والرجعية ١٧ والتخلف والجمود وما إلى ذلك (الدقن،1989). فالعزلة التي فرضت على العالم العربي أبان الحكم العثماني ترجع في حقيقة الأمر إلى عاملين أحدهما خارجي والأخر داخلى أما العامل الخارجي فكان يتمثل في خوف العثمانيين من خطر الاستعمار الغربي الماثل على حدود مناطق الشرق الأدنى الشرقية منذ بداية القرن السادس عشر (الدقن،1989). وأما العامل الداخلى فكان يتمثل في أن الشعوب العربية لم تشعر في القرن الثلاثة الأولى للحكم العثمانى (القرن ١٩، ١٧، (١٨) بالحاجة إلى الإتصال بأوربا خاصة، فمن الناحية الفكرية كان هناك شعور من الشك والريبة في البلاد الإسلامية أزاء الفريحة ونحو كل ما هو أوربى لأنها لم تكن تعرف عن أوربا إلا وجهها القبيح المتمثل في الحروب الصليبية وكانت رواسب هذه الحروب لا تزال عالقة فى الأدهان فلم يكن معقولا أن يتجه العرب إلى أوربا في ذلك الوقت ينشئون معها صلات (الدقن،1989).

أما عن التخلف والجمود والفقر الذي أصاب العالم العربي ابان الحكم العثماني فلم تكن الدولة العثمانية مسئولة عنه مسئولية كاملة. لأن التخلف والحمود والفقر ترجع ذلك إلى أن العرب منذ الغزو العثماني وحتى منتصف القرن التاسع عشرة وبسبب نظم الحكم العثماني قد عاشوا بسبب الإقطاع

والانقسامات الداخلية والتنافس بين العائلات التي تتولى الحكم والسرعة الفردية في الحكم (الدقن،1989). وبالجملة أن الدولة العثمانية قد سيطرت البلاد من السنة ١٣٠٠ إلى ١٩٢٤ طيلة ستة قرون وحكمت الدول العربية طيلة أربعة قرون من بعد فتوح البلاد الغربية في السادس عشرة، ولكن العثمانيين قد إشتغلوا بالمسائل السياسية والعسكرية وحفظ الحكم العثماني لتأمن من ضغط البلاد الخارجية والداخلية (البغات) بين سائر البلاد العربية وغير ذلك مما تعلق من العادات والتقاليد والأمن والتربية قد حولت سلطتهم فيها على شعوب البلاد العربية والمعنى أنهم لا يعطوا المصاريف من العثمانيين، وفى شأن التربية خاصة التي تسبب الحطاط اللغة العربية. أما عن بحث أحوال اللغة العربية في عصر الدولة العثمانية فسابين في الباب الآتي.

5. اللغة العربية في عصر الدولة العثمانية

إنتقالت الخلافة العباسية من بغداد بعد تدميرها إلى القاهرة على يد السلطان بيبرس الذي بايع أحد العباسيين أحمد بن الخليفة الظاهر العباسي) فيحفل عظيم ويوم مشهود ولبث العباسيون من بعده يتوارثون الخلافة حتى إستلاء العثمانيين على مصر سنة ٩٢٢هـ (الركابي،1982). وقد أمتاز هذا الدور بعد إنتقال الخلافة العباسية إلى مصر من حيث السياسة باعتزال العرب الأمور السياسية والحربية وإنصرافهم إلى الزراعة والصناعة وكسب العيش وترك أمور السياسة و الحرب إلى العناصر الأجنبية الأخرى وعلى رأسها عنصر المالك وكان في جملة ما إنصرفوا إليه العلم والأدب.

وكان المالك يعتمدون فى حكم البلاد على القوة وكانوا قساة جاهلين ويعتمد عليها الأمور الحكومية فاعتمدوا على العلماء والكتاب في تنظيم أمور الدولة وجعلوا اللغة العربية هي اللغة الرسمية (الركابي،1982). وقد نشطت في هذ العصر المملوكي حركة التأليف وكان من أثر تشجيع السلاطين للعلماء والأدباء إمتلاء خزائن الكتب والمجموعات الأدبية وبقاء اللغة العربية اللغة الرسمية بفضل السياسة السلاطين وفضل القرآن وسلطة الدين. ولكن اللغة العامية فشت في هذا العصر فشوا مريعا لا ننسى في مصر أثر جامعة الأزهار في حفظ اللغة العربية فقد كان المدرسة الأولى التي تخرج العلماء والأدباء والتي على التراث العربي الإسلامى فى العلم والأدب وكانت المنارة التي تشع على القوم نورا وحكمة وهدى(الركابي،1982).

وبالجملة نرى في هذا العصر نشاطا في التأليف وإظهار الكتب في كل علم وموسوعات تشمل كثيرا من العلوم. ولكن إذا تقارن النهضة العلومية في عصر المالك لم يحسن بالنهضة العلومية قبيل عصره عصر العباس) الذي يقدم في كل العلوم والحضارة
وكذلك باللغة العربية وأدبها.

أ- أحوال اللغة العربية في عصر الدولة العثمانية

https://doi.org/10.15548/diwan.v16i2.1598

إن إجتياح العثمانيين للبلاد العربية وسيطرتهم على عراق وشام ومصر ومغرب كان له أثر سيئ تجلى في تقهقر العلوم والأدب فمنذ سنة ٩٣٢ هـ حرمت مصر وشام استقلالهما وصارتا إماراتين من الامارات الكثيرة التابعة الدولة الأتراك بعد ان كانتا في الدور المملوكي الماضي أهم البلاد التي تحيا فيها اللغة العربية وآدابها(الركابي،1982).

أما الأسباب التي أدت إلى فتور اللغة العربية وأدبها في مصر والشام في هذا العهد فهي: 1) جعل اللغة التركية لغة الدولة: تعصب الأتراك للغتهم فجعلوها في السياسة وغيرها من الأمور الحكومة تستعمل لغة في الدواوين والمعاهدات والمراسلات (خليفة، 1960). 2) تخريب المدارس: كان تخريب المدارس وإنصراف العلماء والطلاب عنها بعد أن فقدوا الأموال التي كانت محبوسة عليها وإستولى عليها الأتراك ما من أسباب فتور اللغة العربية وأدها (خليفة، 1960). 3) نقل الكتاب والعلماء والأدباء: أدى نقل الكتب والعلماء والأدباء في عهد السلطان سليم إلى تركيا إلى إقفار مصر من الحياة الأدبية. وكان هذا من أهم أسباب فتور اللغة العربية وأدها .

ومن البديهي أن اللغة العربية لم تجد في هذا العصر المظلم من يشد أزرها ويثيب الشعراء والكتاب المحتفين بها لأن اللغة التركية صارت اللغة الرسمية في الدواوين وقشت على ألسنة الناس ولأن الحكام لا يفهمون العربية ولا يميزون بين الجيد والغيث من الكلام حتى يلجأ إليهم الشعراء مادحين (الدسوقي،د ت). وتطلعت القسطنطينية إلى مصر وفيها خزائن الكتب والعلماء والأدباء فجردت القاهرة من كل ذلك لتنقل مركز للثقافة الإسلامية والعربية إليها وكان ذلك من أهم العوامل التي حرمت مصر من الحياة العلمية (خليفة، 1960).

وقد تأثرت اللغة العربية في هذا العصر باللغة التركية في تحرير الرسائل الديوانية والمعاهدات السياسية وازدحمت اللغة العربية بها كما قال أحمد الهاشمي فيما يأتي :أصبحت اللغة التركية العثمانية هي اللغة الرسمية للأعمال الديوانية والسياسة في جميع الممالك العثمانية فرحمت اللغة العربية مزحمة ظهر أثرها بينا في تحرير الرسائل الديوانية والمعاهدات السياسية(الهاشمي،دت)."

وفي بعض الولايات التي تولت عليها الدولة العثمانية كانت اللغة العربية مزدحمة بل اللغة التركية وذلك بسبب استعمال التركية في الدواوين المعاهدات واللغة العربية محدودة في الأمور الدينية لإقامة الصلاة وقراءة القرآن وهم لا يملكون القدرة والهمة لتعمق اللغة العربية لنيل المهارة في فهمها حتى لا يمكن لهم أن يفتحوا كتب الأدب العربي ولا يقرئون القرآن إلا للعبادة بدون فهم مضموناته ومعانيه وأساليه لذلك دخلت اللغة العربية وفي عصر الفساد حتى القرن ١٩ م.

ظهر لنا أن اللغة العربية في الدولة العثمانية ليست لغة رسمية وكان إستعمالها محصورة ومحدودة في الأمور، ولكن مع ذلك لا تزال اللغة العربية تدرس وتعلم في المدارس والجامعات(حسن،دت). وفي عصر

https://doi.org/10.15548/diwan.v16i2.1598

العثمانيين يقل الأدباء الذين يستطيعون أن يؤلفوا الكتب على أن معظمهم كانوا في حالة من البؤس تستدعى الشفقة، وقد شكا بعض المشهورين منهم الفقر وسوء الحال، فروى أن إبن نباته كان يعيش عيشة الضنك وأن البوصيري كان يشكو الفقر وكثيرة الأولاد ويستجدى الأمير مادحا(الركابي،1982).

هذه الحياة التي عاشها الشعراء تدل على أن الشعر لم يجد سوقا رائحة في قصور الأمراء، إلا أنهم كانوا يجتمعون جماعات جماعات ليرفهوا عن أنفسهم ويعرض كل منهم نتاجه على صاحبه، فإذا ما أعجبه من قوله معنى سرقه، وتلطف في إستعماله بتغيير وتقديم وتأخير في ترتيبه أو حذف منه أو زيادة عليه(الركابي،1982). وتلك حال تدل على أمرين: أحدهما الفقر في المعاني والجدب في الخيال، والثاني إعتياد التقليد وإنتحال معاني الشعر والحقيقة أن تلك العصور كانت عاجزة عن أن تنفح الأدب بجديد سواء أكان في الأغراض أم في المعاني أم في الأساليب والقوالب الفنية(الركابي،1982).

هكذا حالة اللغة العربية وأدبها في عصر الدولة العثمانية حيث وقعت في إنحطاط شديد مما لا تقع في العصور قبله مع وجود الشعراء والأدباء الذين يهتمون بهيئة اللغة ولو كانوا قليلين. وبالجملة كان عصر الدولة العثمانية هو عصر الفساد للحضارة الإسلامية عامة واللغة العربية خاصة لأن العثمانيين يشتغلون في العسكرية، ومن تم لم يجد العلماء المشهورين منهم في خزانة الزعماء الإسلامية

ب- أسباب إنحطاط اللغة العربية في عصر الدولة العثمانية

كان سقوط بغداد في سنة ٦٥٦ هـ كارثة أصابت اللغة والأدب والمدينة العربية الزاهية وهذه الكارثة مؤلمة ولما اكتسح المغول الممالك للدولة العباسية وخرجوا على البلاد وقتلوا العباد وأبادوا الكتب وغيرها. ولا شك أن هذه الحادثة كارثة عظيمة للثقافة والأفكار الإسلامية وأيضا الثقافة العرب وأفكارهم وحينئذ إفترقوا إلى ممالك متعددة فسقطت الحضارة الإسلامية وإنقسم العالم الإسلامي تحت المغول من نسب حنكسر فأن فلا يبقى بلاد العربية إلا الشام ومصر هما تحت دولة المالك ثم سنة ٩٢٥ هـ تحت الدولة العثمانية وهذه الدولة هى أقوى الدولة الموجودة في العالم الإسلام وأشهر قواتهم في الجيوش ليس في ناحية العلوم والأدب.

بعد سقوط بغداد على يد المغول قد تقهقرت اللغة العربية كأنها لم اتنهض مثل عصر العباس الذي لهض في كل ناحية العلوم والثقافة وغيرها، بعد هذا العصر ولو كانت النهضة العلومية بوجود بعض العلماء وتصنيف الكتب وغيرها لكن إذا نقارن، قد غلبت نهضة نهضة العلوم واللغة العربية في عصور أخرى عصر غير (العباس) بعد سقوط الدولة العباسية .الحقيقة إنحطاط اللغة العربية قد تقهقرت في عصر المماللك حتى إستلاء العثماني على بلاد العرب اللغة العربية إزدادا ضعفا، يمكن أن نقول غير موجود إنجاز أن يفيدبه. وأما أسباب إنحطاط اللغة العربية وأدبها في عصر العثماني كما ياتى:

ج- من الناحية السياسية

https://doi.org/10.15548/diwan.v16i2.1598

كما عرفنا أن إرتقاء اللغة العربية وانحطاطها متأثر كثير بالأحوال السياسية الدولية لأن الحالة الاجتماعية والثقافة فإنها تابعة بالأحوال السياسية. والعثمانيون أنهم عاشوا في نضال عسكري في محاربة أوربا وروسيا والصفويين بإيران حتى لم يجدوا الوقت الكافي لتفكير العلوم واللغة العربية وأدها(يعقوب، دت). كان ذلك من العامل الذي يسبب فساد السياسة ويأثر تأثيرا عظيما في اللغة العربية ويؤدى أيضا إلى إنحطاط اللغة العربية من النثر والشعر لأن الخلافاء والأمراء والوزراء لم يدافعوا لتعميق اللغة العربية وأدبها ولا يعطون المقام الشريف العلماء اللغة والشعراء والأدباء ولا سيما اللغة العربية ليست لغة رسمية في هذا العصر(صيف،د ت). ولو لم يمنع الدولة العثمانية الأعمال اللغوية في كل الأعمال الإنسانية والأعمال العلمية كالتعليم في المدرسة لأن غير غيرة لتعمق بها فنهضة اللغة العربية صعوبة جدا بدون كون دفع وتشجيع من الدولة العثمانية والدولة العثمانية أخذت الأموال من الرعايا لكنها لم تستعمل لاعمال علمية أو لتعمير الوسيلة المدرسية.

د- من الناحية اللغوية

وكانت الدولة التركية العثمانية لها أثر عظيم في اللغة لأن العثمانيين أن يجعلوا اللغة الرسمية فيها اللغة التركية فأصبحت هي لغة رسمية في الأمور الديوانية والسياسية. وعلى هذا السبب إزدحم اللغة العربية إزدحاما ظهيرا فظهر أثرها بين في تحرير الرسائل الدوائية والمعاهدات السياسية(يعقوب، دت). وكان عصر الدولة العثمانية كثيرة التأليف والتصنيف مهما كان فى الشروح والحواشي والشروح فسماه بعصر الشروح والحواشي(صيف،د ت).

فهذا الدليل يدل على أن اللغة العربية نثريا أم شعريا في مستوى الإنحلال لأن الكاتبين والأدباء في هذا العصر كانت إجادتهم تقليدية أصبحوا فيهما على حطة المتقدمين .فعرفنا مما سبق عن الأحوال السياسية في العصر العثماني هي تؤثر إلى تطور اللغة العربية ولا سيما هي ليست لغة رسمية. فبذلك كانت اللغة العربية في هذا العصر من غير إبداع ولا تجديد ولا ظهور علماء بارزين في الأدب، ولكنها لا تزال لغة الدين في العالم الإسلامى وتعلم وتدريس في المدارس والجامعات عند العثمانيين.

الخلاصة

كانت الدولة العثمانية قد استولت على بلدان الأوروبية الشرقية وبلدان العربية في آسيا وأفريقا الشمالية في القرن الثالث عشر إلى القرن التاسع عشر الميلادى وجعلت القسطنطينية عاصمة لها بعد أن تغير باسلامبول أي مدينة الإسلام المشهور الإستانبول وظهرت قوتها من ناحية الجيوش والعثمانيون يعيشون في صراعهم العسكرى وقلهم الاهتمامى بالاتجاهات الفكرية والعلمية والأدبية.

عصر الدولة العثمانية هو عصر الفساد للحضارة الإسلامية عامة واللغة العربية وأدبها خاصة إن حياة الحضارة الإسلامية في مجال العلم والأدب في بلدان العربية التي تضعف في القرن الخامس عشر

https://doi.org/10.15548/diwan.v16i2.1598

الميلادى فترادد ضعفا بعد إستلاء العثمانيين وإستعمال اللغة العربية محدودة فى الأمور الدينية والمعاملة اليومية لكن مع أن ذلك لا تزال اللغة العربية تدرس وتعلم في المدارس والجامعات.

أما أسباب الإنحطاط اللغة العربية: 1) الدولة العثمانية تعيش فى نضال محربة حتى لم تجد الوقت لتفكير العلوم واللغة العربية وأدبها. 2) الدولة العثمانية تجعل اللغة التركية لغة الدولة في الدواوين والمعاهدات والمرسلات. 3) الدولة العثمانية تنتقل الكتاب والعلماء والأدباء إلى إستانبول. 4) الدولة العثمانية لا تعطى المقام الشريف لعلماء اللغة والشعراء والأدباء.

المراجع

أحمد الهاشمي. *جواهر الأداب*. بيروت: دار الفكر، د ت.

أحمد حسن الزيات. *تاريخ الأدب العربي*. القاهرة: دار النهضة، د ت.

أحمد الإسكندري ومصطفى عناني. *الوسيط في الأدب العربي وتاريخه*. القاهرة: دار المعارف، د ت.

أميل بديع يعقوب. *المعجم المفصل في اللغة العربية والأدب*. بيروت: دار العلم للملايين، ذات.

بوصورت ديى. *دين اسلام* . مدينه ميزان ١٩٩٣ م .

جودت الركابي. *الأدب العربي من الإنحدار والإزدهار*. دمشق: دار الفكر، ١٩٨٢م.

زين نور الدين. *زين نشوء القومية العربية مع دراسة تاريخية في العلاقات العربية التركية*. بيروت: دار النهار، ١٩٧٢

سيديو. *تاريخ العرب العام*. القاهرة: عيس البابي الحلبى، ١٩٦٩ م.

السيد محمد الدفن. *دراسات في تاريخ الدولة العثمانية*. القاهرة المطبعة الفنية، ١٩٧٩ م.

شفق عبد معنى، *سجارة كبوديان إسلام دى تركى*. جاكرتا : لوغوس، ١٩٩٧ م .

شوقي صيف. *الفن ومذاهبه في الشعر العربي*. مصر : دار المعارف، د ت.

عبد العزيز محمد الفيصل. *الأدب العربي وتاريخه*. الرياض جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٥ هـ.

عبد العزيز محمد فيصل. *الأدب العربي وتاريخه*. الرياض جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٥

عبد الملك كريم أمر الله، *سجارة أمة إسلام*. جاكرتا بولن بنتائج، ١٩٧٥ م.

على حسون. *الدولة العثمانية*. بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٨٣ م.

عمر الدسوقي. *في الأدب الحديث*. بيرت دار الفكر العربي، د ت.

لويس المعلوف السبوعي. *المتحد في اللغة الغربية والأعلام*. بيروت: دار المشرق، ١٩٨٧ م.

مصطفى الغلاييني. *جامع الدروس العربية*. بيروت : المكتبة العشرية، ١٩٨٧ م.

محمد على الصابون. *النبوية والأنبياء*. مكة المكرمة : دار الفكر، 1980م.

محمد محمد خليفة. *أدب اللغة والنصوص*. القاهرة: مكتبة الجامعة الأزهارية، ١٩٦٠ م.